

قصص مسيحية من واقع الحياة

الليلة العظيمة

١٠

دار مجلة مرقس

قصص مسيحية من واقع الحياة

ـ ١٠ ـ

الليلة العظيمة

دار مجلة مـــرقس

كتاب: الليلة العظيمة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٧٥٦٢ / ٩١
الترقيم الدولي: ٧ ــ ٠٠٥ ــ ٢٤٠ ــ ٩٧٧
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون
ص. ب ٢٧٨٠ القاهرة

الليلـــة العظيمـــة

«أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك
أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها
للأطفال» (لو١٠ : ٢١)

إيمان أطفال عجيب للغاية
يتحدى الملحدين في عقر دارهم (*)

□●□●□

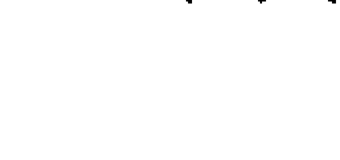
مقدمـــة

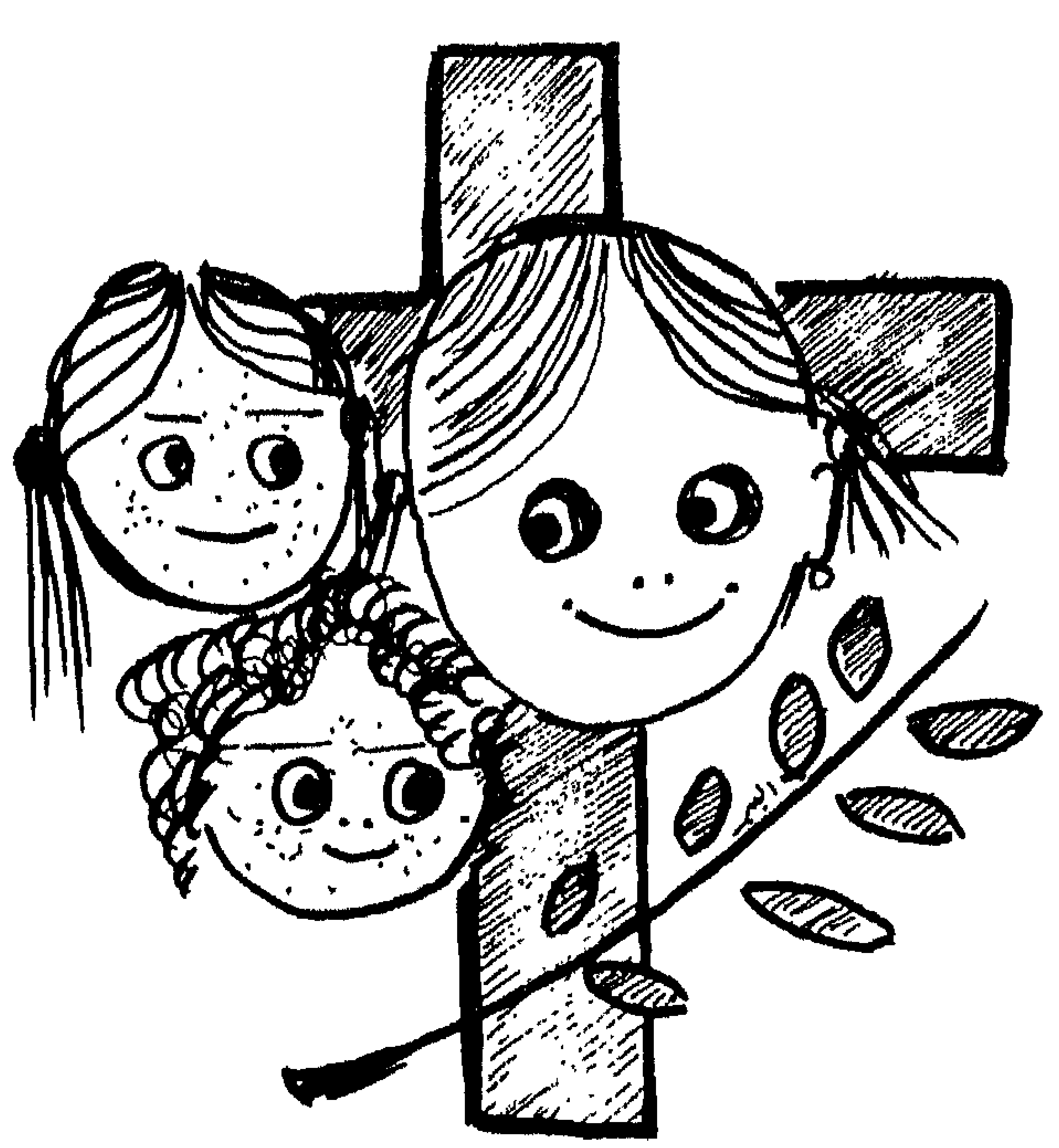
في ناحية ما من أرجاء بولندا، كانت قد أقيمت مؤسسة سُمِّيتْ «مصحة أصدقاء الطفولة». وكل الناس في تلك المنطقة كانوا يعرفون أن هذه المؤسسة المُعانة مالياً بسخاء من الدولة والمتشعّبة الأقسام، والماركسية المذهب بصرامة، كانت الغاية منها تربية الأطفال بمناهج خاصة لتنشئتهم على إنكار وجود الله (أي

(*) عن: ماريا فينوفسكا MARIA WINOWSKA.
«لصوص الله» "LES VOLEURS DE DIEU".
Neuvième édition, EDITIONS SAINT PAUL. PARIS-FRIBOURG.

على الإلحاد كما يسمونه). أما حسابات العلماء المخمَّنة التي حُسبت بعد دراسات على أرفع مستوى من الدقة فقد قررت أن أقصى زمن يمكن أن ينجح فيه هذا المجهود الموحَّد في هذه المراكز التربوية على محو أي أثر «للرأسمالية» من هؤلاء الأطفال، وطبعاً يقصدون ضمناً وأساساً محو الدين، هو عشر سنوات، على أقصى تقدير!

صرَّح مدير مدرسة هذه المؤسسة لأحد الزائرين الحَسني النية بشيء من الإفتخار قائلاً: «هنا يُصنَعُ الإنسان الحديث»! فالخطة وُضِعت بإحكام تام وها نحن متوقعون النتائج الباهرة... كما يؤكد هذا المدير.





ــ ١ ــ

الضيفة الجديدة

أرسل والدا «تريزا» ابنتهما إلى هذه «المصحَّة» للفحص الطبي، بحسب أمر الطبيب الذي صرَّح بأنه يخشى من «عواقب خطيرة» لالتهاب رئوي حديث في مرحلته الأولى ــ فبناء على هذا التقرير المزوَّر كان لا بدَّ أن يوافقا على إدخال طفلتهما هذه المؤسسة (للعلاج والدراسة).

وحالما وصلت الصبية إلى المصحة، قدمت لها السيدة المديرة بعضاً من الحلوى والملبَّسات، داعية لها بالشفاء العاجل، ثم أرسلتها إلى الحجرة الكبيرة «D» لتكون تحت رعاية الآنسة إيرما Irma المشرفة المباشرة المسئولة، وبتوصية خاصة أن يكون لها سريرٌ لوحدها مستقل عن بقية زميلاتها... ودخلت الطفلة إلى عنبر الأطفال «المرضى».

اتجهت أبصار الفتيات الصغيرات الإحدى عشرة، وتركَّزت بانتباه شديد على ضيفتهن الجديدة، وهن يتفحصنها بدقة، ولكن دون أي كلمة تقطع عليهن الصمت. بدأت الآنسة إيرما تقدم لهن تريزا قائلة:
ــ «أتمنى يا بُنيَّاتي أن تستقبِلْنَها بروح التضامن والتعاون التي لا تكف أن ترسِّخه في أذهانكن بولندا الشعبية (وتعني بها الشيوعية)، إنها يجب أن تتعافى وتعود إلى كامل صحتها بأسرع ما يمكن حتى تخدم وطنها إعداداً لعالمه الجديد المرتقب. إن المستقبل السعيد سيكون حتماً من حظ الأجيال المتصاعدة منذ الآن، ومنهم أنتُنَّ».

ـ ٢ ـ

الاختبار الأول

«رسم علامة الصليب»

كانت المشرفة تنطق كل عبارة بفصاحة كدرس محفوظ عن ظهر قلب. أما الفتيات الصغيرات فكُنَّ دائماً يُمْسكن عن الكلام. وقد تعودت الآنسة إيرما قبل أن تغادرهن في المساء لقضاء فترة راحتها الخاصة أن تقول لهن:

ـ «إذا أردتُنَّ أو احتجتُنَّ إلى أي شيء فما عليكن إلا أن تضغط إحداكن الجرس». ثم تحييهُنَّ بقولها:

ـ «والآن أتمنى لكُنَّ ليلة سعيدة. تحيا بولندا الشعبية»! فترد الفتيات بصوت واحد: تحيا بولندا الشعبية!

بعد أن خرجت مشرفتهن هذه المرة وانغلق الباب بهدوء جلست الإحدى عشرة فتاة على أسرَّتهن يُمعنَّ النظر في تريزا ـ وبغتة أخذت واحدة منهن بهدوء ووقار ترشم نفسها بعلامة الصليب، أما الباقيات فكُنَّ يكتمن أنفاسهن حتى إنه كان يمكن أن تُسْمَعَ دقات قلوبهن التي كان يعتريها شيء من الخوف الطفولي والإرتباك. وضعت تريزا حقيبتها جانباً، وبدأت ترفع يدها وتلمس جبهتها... وفي الحال انتعشت كل الفتيات وصاحت طفلة منهن ـ وهي التي بدأت برشم الصليب ـ إنها مثلنا (أو بلغة الأطفال: دي زيّنا أهي)، ثم التفتت إلى تريزا وقالت لها:

ـ إياكِ من أن تكوني خائنة بأن تتجسسي علينا!

وإذ تـأثرت تريزا قليلاً بهذا الاستقبال المصحوب بالتهديد الذي لم تكن تتوقعه قـبـعـت في سـريـرهـا لا تـتـحرك وهي تتطلع إليهن سـاكتة دون أن ترُدَّ على زميلتها بشيء... وفي لمحـة بصر رأت وكـأن غـرفـة الـنـوم الـواسـعـة تحوَّلت إلى خلية نحل! فـأصوات الـتـهـامـس بدأت تتبادل بين الفتيات مع قرقعة المفاتيح، وكان أغلبهن يسـحـبـن حـقـائـبهن التي أخفينها بعناية شديدة تحت أسـرَّتهنَّ وكُنَّ يُخْرِجْن منها أشياء مختلفة و يرتبنها على أغطيتهن...

ثم أخذت واحدة منهن تقول لأخرى:

ـــ يمكنكِ الآن أن تبدأي!

عـنـدئـذٍ تـقـدمـت تلك التي استقبلت تريزا برشم علامة الصليب، ومعها صورة تحـمـلـهـا علي يـديـهـا ووقـفـت و بـدأت مع زمـيـلا تـهـا تـصلين: «أبانا الذي في السموات...».

فهذا كان وقت صلاة المساء في حجرة «D».



— ٣ —

فرقة المقاومة الطفولية

في صباح اليوم التالي سألت تريزا زميلا تها :

ــ ألا تخشين من أن الآنسة إيرما تسمعنا ؟

أجابتها إدفيج Edwige :

ــ ثقي تماماً أنها تخرج في هذا الميعاد يومياً لقضاء فسحتها الخاصة مع بعض معارفها ، وأما قولها أن نضغط الجرس عندما نحتاج إلى شيء ، فهذا خدعة (لتقنعنا أنها موجودة بالقرب منا) .

ــ ولكن إذا حدث لها أي طارىء ولم تخرج ؟

ــ في هذه الحالة طبعاً لا يمكننا أن نمارس صلواتنا !

بعد أن قُبِلَتْ تريزا بكل رضى من جهة رفيقاتها ، فستصير من الآن فصاعداً عضواً هاماً في فرقة المقاومة الطفولية التي تتحدى الملحدين الكبار في عُقر دارهم وفي قلعتهم الحصينة . إن ما ستكتشفه هنا تدريجياً من حقائق عجيبة يملأ تدوينها كتاباً كبيراً . فقد تبين لها أنه ليس فقط في غرفة D توجد مجموعة أطفال يصلون بل في غرفة A ، وغرفة B ، وغرفة C... بل وفي كل الغرف الأخرى . واتضح لها أن الأطفال الذين لا يصلون هم أقلية . وحتى هؤلاء القليلون يبدأون بأن يتمنعوا عن الصلاة منعزلين في أركانهم الخاصة ، ولكنهم عندما يرون الآخرين يصلون بحماس وجدّية و بلا أدنى خوف ، يبدأون هم أيضاً في الإنضمام إليهم ، واحدٌ بعد

الآخر أو واحدة بعد الآخرى . وفي الحقيقة التي يُذهل لها ، أنه لم توجد في أي بلدٍ رأسمالية (غير شيوعية)، مصحة فيها أطفال يصلُّون بمثل هذه الغيرة والحماس كما في هذه المؤسسة الإلحادية !!! هذا بالرغم من أنه غير مسموح على الإطلاق لأي كاهن أو رجل دين بصفة عامة أن يدنو من هؤلاء الأطفال... فانظروا كيف يزدهر الإيمان وسط الضيق وتكثر النعمة حيث تكثر الخطية !!



— ٤ —

الاحتفال بعيد القيامة المجيد

اقترب عيد القيامة المجيد. وكانت الفتيات الصغيرات يُعدِدْنَ له أنفسهن سرًّا طيلة الأسبوع السابق ولم يتبقَّ إلا يوم واحد.

قالت كاترين Catherine :

ــ يا للخسارة! طالما نحن بنات فليس لنا الحق أن نُعِدَّ عظة لنلقيها بمناسبة العيد (لأن هذا موكول للكهنة فقط).

ردت يولاند Yolande :

ــ هي خسارة فعلا أن نُحرم من عظة العيد، ولكن يمكن لواحدة منا أن تلقي علينا حديثاً مبسَّطاً وموجزاً عن هذه المناسبة السعيدة.

علّقت صوفيه Sophie بنوع من الذكاء مؤيدة رأي زميلتها :

ــ بل وأكثر من ذلك، يمكننا أن نُعَمِّد (يبدو من هذا أن هذه الطفلة تعرف دور الشماسات ومساعدتهن للكهنة في عماد البنات والنساء).

استراحت كاترين لهذا التعليق الحكيم وقالت :

ــ وهذا ينفعنا جداً ويسهِّل لنا أن نُعمِّد كلنا.

وفجأة ارتفع صوت صغير وإنما بحياء وخشية :

ــ أنا لستُ مُعمَّدة ــ هذا ما صرَّحت به كريستينا Krystyna عن نفسها.

فتحولت كل الرؤوس واتجهت نحو تلك «الموعوظة» الصغيرة التي احمّر وجهها وارتخت عيناها من شدة الخجل وهي تعتذر لزميلاتها قائلة :

ــ لا تؤاخذوني لأن «بابا» في الحزب... وأنتم تفهمون ماذا يعني هذا ؟...

سكتت رفيقاتها ولم يُعلِّقن بشيء إلا أن بعضهن فكَّرْنَ أنها ينبغي الآن أن تتعمد .

فكل شيء كان قد أُعِدَّ للإحتفال بليلة العيد ، ولم يبقَ فقط إلا أن يَبدأن .

فتنهدت ماريزيا Marysia ووجهت الكلام لكريستينا قائلة :

ــ لماذا لم تنبِّهينا قبل الآن بقليل حتى نعمل حسابنا ونستعد ؟

قالت إدفيج Edwige وهي رائدة الفتيات :

ــ لا داعي للعتاب أو التأنيب ، فهذه ليلة عيد القيامة . ويجب تعميد كريستينا .

عندئذٍ سألت جاكلين Jacqueline :

ــ لكن مَنْ منا هي التي ستعمِّدها ؟

ــ قالت إدفيج : أنا .

ــ وقالت تريزا : أنا .

ــ وطلبت كاترين بإلحاح : أنا .

ــ ثم بعدها البقية واحدة بعد الأخرى قائلات : أنا ، أنا ، أنا...

فكَّرت إدفيج هنيهة بعدها قالت :

ــ نِعمَ ما رأيتُنَّ ، لا بأس في ذلك ، نُعمِّدُها كلُّنا !

ـ ٥ ـ

عظة العيد

قبل أن يشرعن في تعميد كريستينا وقفت إدفيج تلقي على رفيقاتها كلمة بمناسبة العيد، وبدأت تقول بجرأة ولكن ببساطة وتلقائية طفولية:

ـ أخواتي العزيزات، لستُ كاهناً أو خادم رعية وليس لي الحق أن ألقي عظة. ولكنني سأتحدث معكن ببعض كلمات قليلة عن هذا العيد الذي نحتفل به اليوم: فهذه «ليلة عظيمة» لأن فيها قام المسيح. إنه مات على الصليب يوم الجمعة. ولما تأكدوا تماماً أنه مات وضعوه في قبر، غطُّوه بحجر كبير. كل الناس كانت تعتقد أن حياته انتهت إلا أمُّه. ثم في صباح اليوم الثالث حدثت بروق ورعود واهتزت الأرض. وخرج من القبر يسطع كله بالنور. أما الحراس الذين كانوا يحرسونه فقد وقعوا على الأرض مُغْمَى عليهم من شدة الخوف. والرب يسوع عندما قام كان يمسك في يده عَلَماً، وهذا كان عند تلاميذه علامة نصرته على الموت. وذلك يثبت أنه الله!

وإلا كيف قام؟ الإنسان لا يقدر أن يفعل هذا. وبما أنه الله يلزم أن نؤمن به ونثق فيه. يظن الناس الذين بلا إله (Les sans-Dieu) أنه مات، أما نحن فمتأكدات تماماً من أنه حي!

توقفت إدفيج بضع لحظات لتفكر في الخطوة التالية فبادرتها جاكلين:

ـ هل نعمِّدها الآن؟

ردت الفتيات معاً في وقت واحد:

ـ نعم، نعم، نعم.

طلبت إدفيج أن كل واحدة منهن تملأ كوبها الزجاجي ماء إلى حافته؛ ثم التفتت إلى الموعوظة طالبة العماد الصغيرة وقالت:

ـ اعرفي يا عزيزتي أنكِ حالما تتعمدين يجب عليكِ أن تشهدي لإيمانك (أي أن تعترفي به علناً) وإن كان هذا قد يُسبِّبُ لكِ أذى، لا تخافي، لأن الرب يسوع سيعمل منك خليقة جديدة وسيعطيك القوة. والآن استعدي!

خرجت كريستينا من سريرها وهي متأثرة للغاية واتخذت مكاناً في وسط حجرة النوم ووقفت بمهابة مرتدية قميصاً أبيض يتدلى حتى القدمين.

حينئذٍ أحاطتها الإحدى عشرة بنتاً الصغيرات بإكليل من الأزهار الطبيعية، وامتدت إحدى عشرة يداً تمثل طقس المعمودية كما شاهدته بعضهن في احتفال سري في كنيستهن. وارتفع أحد عشر صوتاً طفولياً رقيقاً يردد بمهابة ووقار بعض ما حفظنه من الكلمات السرائرية: «أعمدك يا كريستينا Krystyna، باسم الآب والابن والروح القدس». كما تعلّمنها سراً من جدّاتهن.

تبع هذا برهة من الصمت، وأحست الفتيات برهبة شديدة تهز كيانهن الغض. أما كريستينا فقد تأثرت للغاية وبكت بدموع حارة وغزيرة من هيبة الموقف...

وبغتة نبهتهن إدفيج قائلة:

ـ لنحترس يا عزيزاتي ألا نترك ماء المعمودية المقدسة على الأرض! يجب أن

نمسحه بمنشفة، ولكن مَنْ يستحق أن يقوم بهذا؟

قالت جاكلين Jacqeline :

ــ ننشفه كلنا بمناديلنا ونحتفظ به كذخيرة مقدسة.

ركعت هذه المرة الإثنتا عشرة طفلة على الأرض وبدأن يجمعن وينشِّفن بدقة وعناية شديدة «ماء المعمودية». وبعد أن فرغن من هذا العمل التقَوي كان قد غلبهن النعاس لأن الوقت كان متأخراً فذهبن إلى فراشهن على أن يتقابلن في الصباح على «مائدة المحبة» لعيد القيامة التي كُنَّ قد أعددن لها كل ما يلزم في اليوم السابق...



ـ ٦ ـ

منديل المعمودية
«أثر مقدس»

هذه القصة الحقيقية روتها لي «ماما» إحدى الفتيات التي كانت تحتفظ بـ «منديل المعمودية» بعناية كبيرة، وقد أرته لي وهي تقول:

ـ إنه متسخ بالتراب ولكنه لدينا كالأرض المقدسة (هذا مَثَل سائد في بولندا)، ولكن ما رأيك! إنه حقاً ذخيرة مباركة فقد رجعت به ابنتي الصغيرة من «المصحة الإلحادية» (مصحة الذين بلا إله Les Sans-Dieu) معتزَّة وفخورة تماماً بإيمانها بالله كما لو كانت عائدة من خلوة روحية طويلة! إنه حنان الله ورعايته العجيبة!

سألتها:

ـ وماذا عن كريستينا؟

ـ بعد أن رجعت من «المصحة الإلحادية»، هَدَتْ والديها إلى الإيمان!!! (أبوها كان عضواً في الحزب)!!

يُطلب من

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٥٠ " أ " شارع شبرا ـ تليفون رقم ٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ١٣ شارع الشهداء بالمنشية تليفون رقم ٤٨٤٠١١٠

وجميع المكتبات المسيحية

تلك هي ليلة الاحتفال بعيد القيامة المجيد. ولكن كيف احتفل بها الأطفال الصغار في بولندا، وهنَّ قابعات في مصحة الأطفال النفسية تحت وطأة غسيل المخ الذي كانت تجريه السلطات الشيوعية ليحولنهنَّ عن إيمانهن المسيحي!!

هذا هو موضوع هذه القصة.

■

نلفت انتباه القارىء إلى أن هذه القصة تكملة ستنشر فيما بعد تحت اسم: «إيمان طفلة وتصميمها حتى الموت، يغلب إلحاد والديها».



الطبعة الثانية ـ ٢٠٠٠

(٩٠)

الثمن ٣٥ قرشاً

يُطلب من: دار مجلة مرقس ٥٠ " أ " شارع شبرا ـ القاهرة. ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة ـ ت ٥٧٧٠٦١٤